

الحياة العلمية والأدبية في مصر الفاطمية^(١)

الدكتور محمد كامل حسين

يعد عصر الفاطميين من أزهى عصور مصر الإسلامية من الناحية العلمية، فقد بلغت الحياة العلمية في مصر الفاطمية درجة كبيرة من النمو والازدهار لكثرة العلماء الذين كانوا في مصر أو وفدوا عليها، وكثرة المؤلفات في كل فن من فنون العلم. وذلك أن أئمة الدعوة الفاطمية كانوا يقرّبون العلماء ويشجعون الطلاب، وأنهم أوقفوا أرزاقاً ثابتة للمشتغلين بالعلم حتى يتهيأ لهم التفرغ لما أهلوا أنفسهم له، فكان الفاطميون على هذا النحو من الاهتمام بشؤون العلماء أسبق مما عليه كثير من الدول التي لم تعرف للعلماء قدرهم ولم توفرهم حقهم، فشغل العلماء بأمر أرزاقهم أولاً، فركدت الحركة العلمية عند هذه الدول. وقد رأينا كيف اهتم الفاطميون بإنشاء خزائن الكتب في القصر وفي دار العلم حتى يتسنى للعلماء أن يطلعوا ويستفيدوا مما تركه السابقون، وبلغ من تشجيع الفاطميين لطلاب العلم أن القاضي النعمان سمع إمامه المعز يقول: «إنا لنسر بمن نراه من أوليائنا يطلب العلم والحكمة ويرغب في الخير كما نسر بذلك في الولد»^(٢) ففضي ظل هؤلاء الأئمة، وعلى ضوء ما ذكره الإمام المعز، وجد العلماء ملاذاً يؤويهم من العوز، ويحميهم من الفاقة، بل وجدوا ما يشجعهم على مواصلة البحث والدرس والتأليف.

ويذكر المؤرخون عدداً من العلماء الذين وفدوا على مصر الفاطمية ووجدوا من التشجيع ما جعلهم يذكرون مصر والأئمة بالخير. فيحدثنا ابن أبي أصيبعة أنه لما وصل المذهب بن النقاش - وكان فاضلاً في صناعة الطب - إلى الشام من بغداد أقام بدمشق مدة ولم يحصل له بها ما يقوم بكفايته وسمع بالديار المصرية وإنعام الخلفاء فيها وكرمهم وإحسانهم إلى من يقصدهم ولا سيما من أرباب العلم والفضل، فتوجه إلى مصر واتصل بالقاضي الأجل السيد أبي المنصور عبد الله ابن الشيخ السيد أبي الحسن علي فوهب له الأموال وأقام في مصر مكرماً^(٣). ونردد ما ذكره المؤرخون عن القاضي عبد الوهاب بن علي أحد فقهاء المالكية المجتهدين في المذهب حتى قال عنه صاحب تاريخ بغداد: «لم أر في المالكية أفقه منه، إذ وفد على مصر لضيق حاله ببغداد، وأكرمه المصريون بالرغم من تمذهبه بمذهب يخالف ما هم عليه، حتى تمول وحسنت حاله

جداً». ولكن أدركه المرض، وكان يقول وهو في مرضه: لا إله إلا الله، عندما عشنا متنا. وتوفي بمصر سنة ٤٢٢هـ. وسنذكر غير هذين العالمين في الفصول التالية.

فالقاهرة المعزية أصبحت مطمح أنظار العلماء ومحط رجال الطلاب. وفي العصر الفاطمي استطاعت مصر أن تنتزع زعامة العالم الإسلامي في الحياة العلمية، وأن تبسط آراءها وتعاليمها على البلدان الأخرى، حتى نرى بعض العلماء الذين كانوا ينقمون على الشيعة عامة والفاطميين خاصة يزدون على مصر ويتأثرون ببعض الآراء التي كانت سائدة فيها. وأقرب مثل تقدمه لذلك هو الإمام الغزالي، فقد هاجم الفاطميين في كتبه القسطاس والمنقذ من الضلال والمستظهري أو الرد على الباطنية وغيرها من كتبه، ولكنه وفد على مصر في أواخر حياته ووضع كتابه مشكاة الأنوار متأثراً ببعض العقائد الفاطمية، ولا سيما نظريتهم في ترتيب العقول.

ويخيل إلي أن السبب الذي من أجله شجع أئمة الفاطميين العلم والعلماء أن المذهب الفاطمي نفسه يقوم على العلم والعقل قبل كل شيء، ومن طريق العلم وبالجهد والمناظرات استطاعت الدعوة الفاطمية أن تنتشر في العالم الإسلامي. واستطاع الفاطميون أن يكوّنوا دولتهم العتيدة، فعقيدة الفاطميين كانت تقوم على العلم والعمل. فاعمل هو الظاهر والعلم هو الباطن، وعلم الباطن يقوم على استخدام العقل ومطابقة المحسوس للعقول، فلا غرو أن رأينا الفاطميين يشجعون العلم الذي هو دعامة من دعائم العقيدة الفاطمية. وقد أثرت الفلسفة اليونانية والمذاهب الدينية القديمة في أرياب هذه الدعوة وعلمائها، فكان الفاطميون يهتمون بهذه الألوان من الدراسة الفلسفية والمذهبية، إما لإدخال بعض عناصر منها في عقيدتهم وآرائهم أو للرد عليها وتهجين هذه الآراء القديمة، فعل ذلك الفاطميون في الوقت الذي كان فيه أهل السنة في البلاد الأخرى يرمون من يشتغل بالفلسفة بالزندقة والإلحاد، فالفكر اليوناني وجد ترحيباً من الفاطميين وتوسعوا في دراسته، وقد لاحظ المستشرق أوليري ذلك فقال: «إن الحركة الفاطمية بأكملها أخذت مكانتها في جو مشبع بالفكر الهليني، وإحياء دراسة المواد اليونانية هو الإلهام المباشر لطائفة الإسماعيلية»^(٤).

وسنرى فيما بعد مبلغ اهتمام الفاطميين بالعلوم الفلسفية واصطناعهم لكل من عرف بالاشتغال بفرع من فروع الفلسفة. فقد قيل إن العزيز بالله كاتب جبرائيل بن بخيشوع واستدعاه إلى مصر فاعتذر.^(٥) وأرسل الحاكم بأمر الله إلى ابن الهيثم يستدعيه فأجاب، وكتب الوزير الفلاحي إلى والي حلب وأعمالها بحمل أبي العلاء المعري إلى مصر ليبيّن له دار علم يكون متقدماً فيها، وسمح بخراج معرة النعمان له في حياته وبعده، وأن والي حلب سار إلى معرة النعمان واجتمع بأبي العلاء وقرأ السجل عليه فاستمهل، وكتب إلى الوزير الفلاحي يستعفيه من ذلك فأعفاه. وتسامح الفاطميون مع العلماء الذين لم يعتنقوا مذهبهم، بل كانوا متسامحين مع أصحاب الأديان غير الإسلامية، فأبو الفتح منصور بن مقشّر كان طبيباً للعزيز والحاكم بأمر الله ومن المقربين إليهما، وبعد وفاته استطب الحاكم اسحق بن إبراهيم بن قسطاس وهما من

أهل الذمة، ولكن الفاطميين أغدقوا عليهما وعلى غيرهما من أصحاب الفلسفة الأموال والخلع والألقاب، وحفظ لنا التاريخ أسماء عدد كبير منهم.

وقد ذكرنا أن الفاطميين كان لهم دعاة في جميع أرجاء البلاد الإسلامية يناقشون ويجادلون أصحاب المذاهب الأخرى، ورأينا كيف التف عدد كبير من المسلمين حول هؤلاء الدعاة وأخذوا عنهم علوم الدعوة، فنستطيع إذن أن ندرك في سهولة ويسر أن هذه الدعوة الفاطمية لم تؤثر في مصر فحسب بل أثرت في جميع البلاد الإسلامية، وتبع ذلك أن الآراء اليونانية وغيرها من المذاهب القديمة من إسرائيلية ومسيحية وزرادشتية ووثنية هي التي صبغها الفاطميون بالصبغة الإسلامية قد انتشرت في العالم الإسلامي على أيدي دعاة الفاطميين. وإذا درسنا الحياة العقلية في العالم الإسلامي في القرن الرابع وما بعده رأينا أكثر العلماء كانوا متأثرين بهذه الآراء التي بثها دعاة الفاطميين، ونرى بعض الفلاسفة الذين نبغوا في القرن الرابع وما بعده كانوا على صلة قريبة أو بعيدة من العقائد الفاطمية أو العقائد الشيعية عامة، فابن حوقل كان متشيعاً لهم حتى قيل إنه من دعائهم، والفارابي مثلاً في حديثه عن القلم واللوح يكاد يتحدث بلسان دعاة الفاطميين، ويكاد يشاركهم في حديثه عن التوحيد^(٧)، وابن سينا قيل إنه إسماعيلي المذهب وأن أباه كان أحد دعائهم فنشأ متأثراً بعقائدهم، وجماعة إخوان الصفاء الذين يرجح أنهم ازدهروا في ظل البويهيين الذين كانوا يميلون إلى التشيع ومنهم من اعتنق الدعوة الفاطمية وكان يرأس الخليفة الفاطمي، وظهرت في رسائل إخوان الصفاء إسماعيليتهم. وابن الهيثم كان متصلاً بالحاكم بأمر الله الفاطمي وعاش في كنفه، وأبو العلاء المعري حكيم المعرفة كان متأثراً تأثراً تاماً بهذه الآراء التي كانت تحيط به، فقد امتد ظل الحكم الفاطمي إلى بلاد الشام وانتشرت فيها آراء الفاطميين كما انتشرت في كل البقاع التي خضعت أو لم تخضع لهم، فنرى في أشعار أبي العلاء وكتابته كثيراً من الآراء الفاطمية التي كانت تسود ذلك العصر، ونذكر أحمد حميد الدين بن عبد الله الكرمانى فيلسوف الدعوة وحجتها في العراق وكرمان وصاحب الكتب الفلسفية الفاطمية مثل كتاب راحة العقل وكتاب المصابيح وكتاب الهادي والمستهدي وكتاب الأقوال الذهبية وغيرها التي تدل على أن الكرمانى فيلسوف ناضج التفكير، وأنه متأثر بما أخذه من فلسفة اليونان وغيرها^(٨)، ونذكر المؤيد في الدين فهو من شيوخ الدعوة وفلاسفتها. وهكذا نستطيع أن نتبع كثيراً من فلاسفة المسلمين الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية وصبغوها بالصبغة الإسلامية، وكان لهم فضل تقريب هذه الدراسات إلى جمهور المسلمين، فإن هؤلاء الفلاسفة تأثروا بالعقائد الشيعية عامة والفاطمية خاصة.

ولم ينس الفاطميون العلوم العربية الخالصة، بل وجهوا إليها اهتماماً ملحوظاً وعناية خاصة، وقد رأينا كيف كان الحاكم يجمع علماء اللغة والأدب للمناظرة بينه يديه، ورأينا أثر يعقوب بن كلس في نشاط الحركة العلمية والأدبية، ويحدثنا عمارة اليماني أن مجالس الوزير الصالح بن رزيك لم تكن تنقطع إلا بالذاكرة في أنواع العلوم الشرعية والأدبية وفي مذاكرة وقائع

الحرب مع أمراء دولته^(٨) فكانت هذه العناية الخاصة التي وجهها الأئمة ووزراؤهم وأمراء دولتهم للعلوم سبباً في قيام هذه النهضة العلمية الرائعة التي ظهرت في مصر الفاطمية، وفي أن يكثر علماء مصر من التأليف وإنتاج الكتب في مختلف الفنون والعلوم.

حقيقة كان علماء مصر في ذلك العصر يشرحون أو ينقدون ما خلفه علماء المسلمين قبلهم في هذه العلوم العربية، ولا نكاد نجد في مؤلفات المصريين في هذا العصر آراء أصيلة يتميزون بها عن الذين سبقوهم، ولكن ليس ذلك بغريب فالتاريخ يحدثنا أن العلوم إذا تم تكوينها ووضعت قواعدها تمر على العلماء فترة بعد ذلك طويلة أو قصيرة لشرح هذه القواعد أو نقدها، ويكثر من التأليف حول هذه القواعد دون أن يحاولوا وضع قواعد جديدة، بل يفرعون على هذه الأصول القديمة دون مساس بالقديم. هذا ما كان عند اليونان بعد عصر الفلاسفة، وهذا ما حدث أيضاً للمسلمين في جميع الأقطار الإسلامية بعد أن وضعت قواعد اللغة ودون الأدب العربي بألوانه وفنونه، وبعد أن صيغت القواعد الفقهية على اختلاف المذاهب، فهذه الفترة فترة ركود ذهن العلماء عن وضع أصول جديدة وقواعد متباينة عن القديم مرت بها مصر الفاطمية بل مرت بها جميع الأقطار الإسلامية، بل أستطيع أن أقول إننا لا نزال نعيش على هذه الأصول القديمة، ولم نستطع أن نتحرر منها إلى الآن، فقواعد اللغة التي دونها سيويه وأصول الصرف كما تركه ابن جني وعروض الخليل بن أحمد وأصول الفقه كما دونه الشافعي ومالك وأبو حنيفة وابن حنبل هي التي تسيطر على حياتنا العلمية العربية إلى الآن، بالرغم من أن عدداً كبيراً من دعاة حرية الفكر ينادون بضرورة التحرر من القديم وتعديل هذه العلوم تعديلاً يلائم حياتنا الحديثة، ولكن لا تزال السيطرة للقديم، ولم يستطع المصلحون إلى الآن أن يجدوا وسيلة للخلاص منه.

فبالرغم من تشجيع الفاطميين للعلماء حتى ألفوا هذه المؤلفات الكثيرة التي تحتاج إلى مجلد ضخم لسرد أسمائها، وأن هذه المؤلفات كانت التراث العلمي للعصور التي تلت عصر الفاطميين، فإن هذه الكتب الكثيرة ولا سيما ما كان منها في العلوم العربية لا تظهر فيها شخصية مصر ولا أثر مصر، إلا إذا استثنينا كتب التاريخ التي تحدثت عن مصر، ففي هذه الكتب استطاع مؤرخو مصر أن يتأثروا بما حولهم وأن يظهروا شيئاً مصرياً لا يستطيع غير المصريين أن يأتوا به.

وهناك سبب آخر لعدم ظهور شخصية مصر في كتب العلماء المصريين في العلوم العربية، ذلك هو رحلات العلماء في الأقطار الإسلامية طلباً للعلم، فمصر بموقعها الجغرافي الممتاز الذي جعل منها مركزاً وسطاً بين الشرق والغرب وطريق الغرب إلى الأراضي المقدسة، هذا الموقع الجغرافي جعل مصر مركزاً هاماً لتبادل الآراء العلمية بين الأقطار الإسلامية، فعلماء الأندلس والمغرب وصقلية كانوا مضطرين إلى التعرّيج على مصر في رحيلهم لتأدية فريضة الحج. أو في رحيلهم لطلب العلم في العراق وفارس، وتطول مدة إقامتهم في مصر أو تقصر يأخذون عن علماء مصر أو يلقون على المصريين ما عندهم من علم فتتلاقح الآراء وتمتزج وتصبح متشابهة

لا فرق بين أندلسي ومصر ومغربي وصقلي، ولا تظهر الشخصية الإقليمية في هذا النحو من العلم، وكذلك نقول عن علماء مصر الذين رحلوا في طلب العلم من الأقطار الأخرى وعلماء الأقطار الأخرى الذين رحلوا في طلب العلم أو للتعليم في مصر، فهذه الرحلات الكثيرة كانت سبباً في ألا تتمايز العلوم العربية بتمايز الأقطار، حتى أصبحنا لا نفرق بين كتب المشاركة وكتب المغاربة إلا عن طريق تاريخ المؤلفين أنفسهم. أما من الناحية الموضوعية للكتب فمن الصعب العسير أن نصل إلى نتيجة يطمئن إليها الباحث، والأقطار العربية التي كانت تتنازع فيما بينها في السياسة والمذهب الديني، وتنشب فيها الحروب المختلفة، كانت تربطها وتوحدتها هذه الحياة العلمية، فجعلتها كتلة واحدة تدرس علومها واحدة لا فرق بين قطر وقطر، ولا تزال هذه الظاهرة إلى الآن في العلوم العربية الخالصة والعلوم الإسلامية، وأملنا عظيم اليوم وقد توحدت البلاد العربية في آرائها السياسية أن تتم وحدتها في مختلف ألوان الثقافة حتى يعود للعرب مجدهم القديم بهذه الوحدة التي لن تنفصم بعون الله وبفضل يقظة البلاد العربية.

العلوم الفلسفية

إذا قلت العلوم الفلسفية فإنما أقصد بها جميع العلوم التي كانت تشتمل عليها الفلسفة في القرون الوسطى، والتي تضمها رسائل إخوان الصفاء من رياضيات وموسيقى وطب وتنجيم وطبيعات والهيئات ومنطق إلى غير ذلك من هذه العلوم التي كان يحذقها فلاسفة هذه العصور، والتي لا يستحق طالب الفلسفة هذا اللقب إلى إذا ألم بها جميعاً، وقد رأينا كيف كانت العقائد الفاطمية تعتمد قبل كل شيء على العلم وتمييز الهيئات من الطبيعيات، فلا غرو أن نرى هذه العلوم الفلسفية على اختلاف ألوانها وفنونها تزدهر في العصر الفاطمي ويرعاها الفاطميون، بل كان من الخلفاء الفاطميين من أتقن هذه العلوم وبرز فيها ولا سيما رصد الكواكب، فالمؤرخون يذكرون أن المعز لدين الله والعزیز والحاكم بأمر الله والحافظ كانوا يرصدون النجوم لاستقراء ما وراءها من أحداث، ويذكر المؤرخون أن اهتمام الأئمة بهذه العلوم كان وسيلة لادعائهم معرفة الغيب ويروي المؤرخون بعض روايات هي أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة، كما يروون بعض الأشعار كان يتهم بها المصريون على ادعاء الفاطميين معرفة الغيب، من ذلك ما روي أن العزیز بالله صعد المنبر ذات يوم فرأى رقعة كتب فيها:

بالظلم والجور قد رضينا وليس بالكفر والحقايقه
إن كنت أعطيت علم غيب فقل لنا كاتب البطايقه

وتضيف الرواية أن العزیز بالله ألقه عن ادعائه الغيب بعد ذلك، ويروي ابن ميسر في تاريخه أن النيل زاد وبلغ الماء الباب الجديد أول الشارع خارج القاهرة، فلما بلغ الحافظ ذلك أظهر الحزن والانقطاع، فدخل إليه بعض خواصه وسأله عن السبب فأخرج له كتاباً فإذا فيه: إذا وصل الماء الباب الجديد انتقل الإمام عبد المجيد، ثم قال: هذا الكتاب الذي نعلم منه أحوالنا

وأحوال دولتنا وما يأتي بعدها^(٩) فإن صحت هذه الرواية فهي تؤيد ما أذاعه الناس وتناقله الرواة من ادعاء الفاطميين الغيب وأن الأئمة يعرفون ما كان وما يكون إلى يوم القيامة. وبين يدي الآن كتاب «الفترات والقمرات» المنسوب إلى جعفر بن منصور اليماني من علماء الدعوة في القرن الرابع الهجري - ولكنني أشك في نسبة هذا الكتاب إليه - يتحدث في هذا الكتاب عن أثر الكواكب في عالم الكون والفساد ويتنبأ بما سيحدث في الأيام المقبلة. وذهب مؤلفه إلى أن علم القمرات أو علم الجفر علم خص الله سبحانه به آدم عليه السلام وورثه آدم وصيه شيث، وتداولته الأنبياء والأوصياء والأئمة إلى الخلفاء الراشدين والنبلاء المتوحيدين بالتأييد^(١٠)، ويروي علماء الدعوة أن علي بن أبي طالب كان يقول: «لو شئت لي وسادة وجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم، ولولا أن يقال إن ابن أبي طالب ساحر لأخبرتكم بما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة مما علمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»^(١١) فهذا كله يؤيد ما قيل عن الفاطميين أنهم كانوا يدعون علم الغيب وأنهم كانوا يستغلون معرفتهم بحركات الأفلاك لادعاء الغيب. ولكن بجانب هذه النصوص التي تثبت ذلك نجد نصوصاً أخرى تثبت عكسها، فالقاضي النعمان يحدثنا في كتابه المجالس والمسايرات: «ذكر الإمام المعز لدين الله يوماً وأنا بين يديه النجامة والمنجمين، فقال: من نظر في النجامة ليعلم عدة السنين والحساب ومواقيت الليل والنهار وليعتبر بذلك عظيم قدرة الله جل ذكره وما في ذلك من الدلائل على توحيده لا شريك له، فقد أحسن وأصاب. ومن تعاطى بذلك علم غيب الله والقضاء بما يكون فقد أساء وأخطأ. ولقد كان المنصور بالله من أعلم الناس بها، ولقد قال لي غير مرة: والله ما نظرت فيها إلا طلباً لعلم توحيد الله وتأثير قدرته وعجائب خلقه، ولقد عانيت ما عانيت من الحروب وغيرها فما عملت في شيء من ذلك باختبار منى دلائل النجوم ولا التفت إليه، ثم قال المعز: أتاني بعض المنجمين بكتاب ألفه يذكر فيه خلق آدم وكيف كانت الكواكب يوم خلقه الله عز وجل، وما دلت عليه بما آل أمره وأمر ذريته إليه، ورأى أنه أتى في ذلك إلى بفائدة وعلم سبق إليه، فلما وقفت على كتابه سألته: هل كان قبل آدم شيء؟ قال: نعم قد كان قبله، قلت: فما كان قبله؟ ومن كان؟ وكيف كانت هذه الكواكب قبل ذلك وما دلت عليه قبل خلق آدم؟ فلم يحرج جواباً، وقال: هذا شيء ما ظننت أني أسأل عنه، قلت: وهذا الذي تكلمته وجئت به ما سألت عنه أيضاً فكطيف تكلفته؛ فعجبت من قوم ينتهون فيما لا يعلمون ويتعاطون ما لا يدرون»^(١٢) فهذا يدل على أن المنصور بالله والمعز لدين الله لم يدعيا الغيب، ولم يدرسا الكواكب وحركاتها لعلم ما كان وما سيكون، ويقول جعفر بن منصور اليماني في كتابه الكشف: «قال الله تعالى: قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك، وهذا قول نوح عليه السلام الذي ذكر الله في كتابه عنه، وكل هذا دليل على أن الأئمة والرسل لا يعلمون إلا ما أعلمهم الله بوحيه وتأنيده ونوره وتبته عن الله جل ذكره»^(١٣) فهذا دليل آخر نقدمه في دفع تهمة ادعاء الفاطميين للغيب. وقال القاضي النعمان في كتابه الهمة: «فإننا لا نقول ما قاله

الغلاة الضالون المبطلون الصادون عن أولياء الله الدافعون إمامتهم الزاعمون أنهم يعلمون غيب الله وما تخفي صدور عبادہ، تعالى الله الذي تضرد بعلم ذلك دون خلقه، ولم يطلع ما شاء منه إلا من ارتضى من رسله، وإنما أراد هؤلاء الفسقة، بما نسبوه إلى الأئمة صلوات الله عليهم من ذلك دفع إمامتهم لأنهم لما زعموا أن الأئمة يعلمون الغيب والناس يرونهم لا يعلمون من أمور الناس إلا ما ظهر منها لهم لم يكونوا أئمة عند أولئك الفسقة ولا عند من قبل منهم، إذ لم تكن تلك الصفة التي وصفوهم بها منهم^(١٦). ولعل سبب هذا الادعاء هو تطرف بعض الدعاة في إسباغ جميع الفضائل على الأئمة حتى جعلوا أئمتهم يعلمون الغيب، وكان اختلاف الناس في هذا الأمر مصدر جدل بين المصريين، وصور لنا الأمير تميم في إحدى قصائده ذلك كله بقوله يخاطب أخاه الإمام العزيز بالله:

وفي أنها بالنفع والضرر قد تجري	ولما اختلفنا في النجوم وعلمها
ومن مكث فيها الجدال ولا يدري	فمن مؤمن منا بها ومكذب
وتعلم ما يأتي من الخير والشر	ومن قائل تجري بسعد وأنحس
بما فيه من سر وما فيه من جهر	فعلمتنا تأويل ذلك كله
وكان بها دون البرية ذا خبر	عن الطاهر المنصور جدك ناقلاً
بما قال، والكهان من شيعه الكفر	فأخبرتنا أن المنجم كاهن
إلى النار في يوم القيامة والحشر	وأن جميع الكافرين مصيرهم
وألفتنا بعد التنافر والزجر	فجمعتنا بعد اختلاف ومرية
يجلى ظلام الشك عن كل ذي فكر	وأوضحت فيها قول حق مبرهن
وفيها رجوم للشياطين إذ تسري	فعدنا إلى أن الكواكب زينة
تسير بتدبير الإله على قدر	مسخرة مضطرة في بروجها
تبارك من رب ومن صمد وتر	وأن جميع الغيب لله وحده
رووه عن المختار جدهم الطهر ^(١٧)	وما علمت منه الأئمة إنما

وإذن نستطيع أن نخالف المؤرخين الذين رموا الفاطميين بادعاء الغيب، فإن هؤلاء المؤرخين استقوا أخبارهم من إشاعات العامة وأقوال بعض الغلاة ولم يحققوا الأمر تحقيقاً علمياً، فقصيدة الأمير تميم وأقوال علماء الدعوة تنفي ما جاء به المؤرخون وتبرئ الفاطميين من ادعاء الغيب. حقيقة اهتم الفاطميون بالنجوم ورصدها، واستدعى الفاطميون إلى مصر عدداً كبيراً من المنجمين، فعندما دخل المعز لدين الله مصر قدم معه منجمه محمد بن عبد الله بن محمد العتقي^(١٨)، ورفع العزيز بالله منزلة المنجم أبي عبد الله بن القلانسي إلى أن توفي سنة ٣٨٦^(١٧)، وأنشأ الحاكم بالمقطم منزلاً يرصد فيه النجوم وعمل له منجمه أبو الحسن علي بن يونس الزيج الحاكمي في أربعة مجلدات، ويقول ابن خلكان عنه إنه لم يرف في الأزياج على كثرتها أطول منه^(١٨)، ويقول القفطي إن ابن يونس كان يقصد تحرير زيج جامع كبير يدل على أن صاحبه كان

أعلم الناس بالحساب^(١١) وهذا الزيج هو الذي سار عليه منجمو مصر بعده. ويذهب المقريزي إلى أنه عمل للأفضل بن بدر الجمالي مائة تقويم لاستقبال سنة خمسمائة من الهجرة، وكان منجمو الحضرة يومئذ ابن الحلبي وابن الهيثمي وسهلون وغيرهم يطلق لهم الجاري في كل شهر والرسوم والكسوة على عمل التقويم في كل سنة، فإذا كان في غرة السنة حمل منهم تقويمه فيقابل بينها وبين التقويمات المحضرة من الشام فيوجد بينها اختلاف كثير، فأنكر ذلك، فلما كان غرة ثلاث عشرة وخمسمائة عند إحضار التقاويم على العادة جمع المنجمين والحساب وأهل العلم وسألهم عن السبب في الاختلاف بين التقاويم فقالوا: الشامي يحسب ويعمل على رأي الزيج المهجور المأموني، ونحن نعمل على رأي الزيج الحاكمي لقرب عهده، وبين المتقدم والمتأخر تفاوت وخلف. ثم أشاروا عليه بعمل رصد مستجد، وأشار عليه أبو الحسن بن أبي أسامة أن يتولى ذلك القاضي ابن أبي العيش الطرابلسي المهندس العالم. ولكن الأفضل غضب على ابن أبي العيش وولى بدله أبا سعيد بن قرفة الطبيب، فنشط في إقامة المرصد وساعده جميع المهندسين وعلماء الحساب والتنجيم إلى أن قتل الأفضل سنة ٥١٥هـ وولى الوزارة المأمون البطائحي فأحب أن يتم هذا الرصد على أن يعرف بالرصد المأموني المصحح، واستمر العمل إلى أن قتل الوزير البطائحي سنة ٥١٨هـ فوقف العمل به، وكان من المهندسين الذين اشتركوا في إقامة هذا الرصد أبو جعفر بن حسنداي والقاضي ابن أبي العيش، وأبو الحسن علي بن سليمان بن أيوب، وأبو النجا بن سند الساعاتي الاسكندراني المهندس، وأبو محمد عبد الكريم الصقلي وغيرهم، ومن الحساب والمنجمين ابن الحلبي وابن الهيثمي وأبو النصر تلميذ سهلون وابن دياب والقلعي وغيرهم^(١٢). وكان الخليفة الحافظ مغرمًا بعلم النجوم وله عدة من المنجمين^(١٣). ومما يدل على شدة عناية الفاطميين بحركات الكواكب ما يرويه ابن السنيدي وكان من أهل الخبرة بعمل الاضطراب والحركات أن الوزير الجرجرائي تقدم سنة ٤٣٥هـ فأمر بعمل فهرست لخزانة الكتب ويرم ما أخلق من جلودها وأنفذ القاضي القضاعي وابن خلف الرواق ليتوليا ذلك. وحضر ابن السنيدي ليشاهد ما يتعلق بصناعته قال: فرأيت من كتب النجوم والهندسة والفلسفة خاصة ستة آلاف وخمسمائة جزء وكرة نحاس من عمل بطليموس وكرة أخرى من عمل أبي الحسين الصوفي للملك عضد الدولة وزنها ثلاثة آلاف درهم قد اشترت بثلاثة آلاف دينار^(١٤) من هذا كله نستطيع أن ندرك مدى عناية الفاطميين بهذا اللون من العلم، ولكن الفاطميين لم يكونوا بدعاً في ذلك كله، فهم ليسوا بأول من رصدوا النجوم، وجعلوا رابطة بين الكواكب العلوية والعالم السفلي وتأثير حركات الكواكب في الأرض، فهذا كله قديم معروف قل ظهور الإسلام وبعد الإسلام، ففي أوائل قيام الدولة العباسية عني أبو جعفر المنصور بالتنجيم والنجوم، وترجم له السند هند، وجاء خلفاء العباسيين واقتدوا به حتى أصبح للتنجيم شأن كبير عندهم وجعلوا للمنجمين رواتب واستشارهم الخلفاء في أحوالهم الإدارية والسياسية، وليس ببعيد عن أذهاننا قصة فتح عمورية وقصيدة أبي تمام التي مطلعها:

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حده الحد بين الجد واللعب

ويقول أستاذنا المرحوم كارلو نالينو إن التنجيم كان له شأن في قصور الخلفاء والسلطين وبين العامة، وظل كذلك إلى القرن الماضي فكان في دخول الحضارة الغربية عامة ومذهب كوبرنيقوس خاصة القضاء المبرم على التنجيم، بيد أنه لا يزال موجوداً في البلاد التي لم تصب من الحضارة الغربية إلا قليلاً^(٣٣). فالفاطميون شاركوا غيرهم من المسلمين في التنجيم والفلك. وقد يكون من أهم الأسباب التي أدت إلى اهتمامهم بالفلك مسألة ابتداء شهر رمضان، فقد ذكرنا أن الفاطميين جعلوا شهر رمضان ثلاثين يوماً دائماً، ولم يبدؤوا صومهم برؤية الهلال رؤية بصر بل رؤية استبصار، فرصدوا حركات الأجرام السماوية ليعرفوا مبدأ الشهر على حساب أن السنة القمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وخمس يوم وسدس يوم، وأن ستة أشهر من السنة تامة وستة أشهر ناقصة وأن كل ناقص منها يتلوه تام، ولشدة الدقة في هذا التقويم اضطروا إلى استخدام عدد كبير من علماء الفلك والتنجيم والحساب والمهندسين وغيرهم من الفلاسفة الذين أقاموا المراصد والزيجات.

ابن الهيثم

ولعل أشهر عالم رياضي شهدته مصر الفاطمية هو الفيلسوف أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم وقيل: إنه أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم، اتفق المؤرخون على أنه بصري المولد والنشأة، وإن كانوا لم يذكروا شيئاً عن حياته في شبابه، فإن هذه الفترة من عمره غامضة أشد الغموض، والذي ذكره المؤرخون أنه رحل إلى الشام وعاش في كنف أمير من أمرائها، وأن الأمير أغدق عليه نعمه وعطاياه، ولكن ابن الهيثم كان يقول للأمير: «يكفيني قوت يومي، وتكفيني جارية وخادم، فما زاد على قوت يومي إن أمسكته كنت خازنك، وإن أنفقتك كنت قهرمانك ووكيلك، وإذا اشتغلت بهذين الأمرين فمن الذي يشتغل بأمرى وعلمي؟ فما قبل بعد ذلك إلا نفقة احتاج إليها ولباساً متوسطاً^(٣٤)» فإن صحت هذه الرواية فهي تدلنا على ما كان عليه ابن الهيثم من انصراف إلى العلم ورغبة عن المال خوفاً من أن يشغله المال عن العلم، وكان حريصاً أن يتمسك بما يجب أن يكون عليه العالم الفاضل من خلق وترف عن طلب الماديات، وأين العلماء الآن الذين يرفضون من متاع الدنيا ما يفيض عن حاجتهم الضرورية، فإن علماء عصرنا مع شديد الأسف يتكالبون على جمع المال بشتى الطرق والوسائل، والحق يملأ قلب أحدهم إذا أثرى له زميل، أو ارتفع قدره. ولعلنا نشاهد الآن ما عليه بعض من نطلق عليه لقب عالم يترك العلم والبحث للجري وراء اقتناء الدور والأراضي ويكنز الأموال وهو في غنى عن ذلك كله إن كان عالماً حقاً قانعاً قناعة ابن الهيثم وما يتحلى به من خلق.

ويروي البيهقي قصة نذكرها الآن لعلها تجد عند ساداتنا علماء عصرنا رادعاً لهم عما هم عليه، فهي تدل على أن ابن الهيثم لم يأبه للمادة ولم يطلب سوى العلم للعلم، تقول القصة إن

أميراً جاءه يطلب العلم عليه، فقال له ابن الهيثم: أطلب منك للتعليم أجرة وهي مائة دينار في كل شهر؛ فبذل ذلك الأمير ما طلبه ابن الهيثم، وما قصر فيه، وأقام عند ابن الهيثم ثلاث سنوات يأخذ عن أستاذه العلم، فلما عزم الأمير على الانصراف إلى دياره قال له ابن الهيثم: خذ أموالك بأسرها فلا حاجة لي إليها وأنت أحوج إليها مني عند عودتك إلى مقر ملكك، ومسقط رأسك، وإني قد جربتكم بهذه الأجرة، فلما علمت أنه لا خطر ولا موقع للمال عندك في طلب العلم بذلت مجهودي في تعليمك وإرشادك. وأعلم أن لا أجرة ولا رشوة ولا هدية في إقامة الخير، ثم ودعه وانصرف^(١٥). وهكذا كان ابن الهيثم يتصف بصفات العالم بما في هذه الكلمة من معان وأوصاف. وظل ابن الهيثم بالشام حتى سمع به الإمام الحاكم بأمر الله الفاطمي، وقيل إنه نقل إلى الحاكم أن ابن الهيثم قال: لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملاً يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص، فقد بلغني أنه ينحدر من موضع عال وهو في طرف الإقليم المصري^(١٦)، فازداد الحاكم شوقاً إلى ابن الهيثم للاستفادة من علمه، وأرسل إليه يرغبه في الوفود إليه، فاستجاب ابن الهيثم إلى رغبته وخرج الحاكم نفسه للقاءه والترحيب به وقربه إليه وأكرمه، ثم طلب إليه الحاكم أن ينظر في أصول النيل عساه ينفذ ما خطر له وهو بالشام، فرحل ابن الهيثم في النيل حتى بلغ موضع الشلال الأول قبل أسوان، ورأى في طريقه آثار قدماء المصريين فعلم أنه لا يستطيع أن يأتي من الأعمال الهندسية ما لم يبلغ القدماء معرفته، فأظهر ابن الهيثم عجزه وعاد إلى القاهرة معذراً إلى الحاكم^(١٧) وهذه خصلة أخرى نسجلها لهذا العالم العظيم الخلق الذي خطر له رأي فلما كلف بتنفيذه أبى عليه تواضعه العلمي إلا أن يعترف بعجزه أمام ما وجده من فن القدماء، ولو لم يكن ابن الهيثم على هذا الخطر من الخلق العظيم لتمادى في مشروعه ولكلف الدولة آلاف الدنانير ولاستفاد هو أيضاً إن كان على نمط علماء عصرنا.

فما أحرانا وقد مضى نحو ألف عام على وفاة ابن الهيثم أن نتمثل به في قناعته وتواضعه وعلمه. وكان من المتوقع أن يغضب الحاكم بأمر الله على ابن الهيثم، ولكن الإمام الحاكم حفظ له مكانته وعرف قدر خلقه وعلمه، فولاه بعض الدواوين، وقبل ابن الهيثم العمل رهبة لا رغبة. ثم خاف بطش الحاكم بعماله وتقلباته مع من حوله، فنزوات الحاكم وتسرعه في إراقة الدماء أو التعذيب أمر عرف به هذا الإمام، فاضطر ابن الهيثم إلى أن يتصنع الجنون والخبال، فتركه الحاكم في منزله وجعل له من يخدمه ويقوم بمصالحه^(١٨) فاعتكف ابن الهيثم حتى بلغه وفاة الحاكم سنة ٤١١ هـ واطمأن من نزواته على نفسه، فأظهر العقل وعاد إلى ما كان عليه، واستوطن قبة على باب الجامع الأزهر، وأقام بها متنسكاً، واشتغل بالتصنيف والتعليم ونسخ الكتب القديمة، فكان يتعيش من نسخ ثلاثة كتب كل سنة هي إقليدس والمتوسطات والمجسطى، ويبيعها بمائة وخمسين ديناراً هي مؤنثه لسنة^(١٩)، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي في حدود سنة ثلاثين وأربعمائة.

اتفق المؤرخون الذين ترجموا لابن الهيثم على أنه كان عالماً متقناً لعلوم كثيرة فيقول القفطي

عنه: «ابن الهيثم صاحب التصانيف والتأليف المذكورة في علم الهندسة، كان عالماً بهذا الشأن متقناً له متفنناً فيه قيماً بغوامضه ومعانيه مشاركاً في علوم الأوائل، أخذ عنه الناس واستفادوا منه»^(٣٠). ويقول البيهقي: «الحكيم بطليموس الثاني أبو علي ابن الهيثم، كان تلو بطليموس في العلوم الرياضية والمعقولات، وتصانيفه أكثر من أن تحصى»^(٣١) ويذهب ابن أبي أصيبعة إلى أن ابن الهيثم كان متفنناً في العلوم لم يماثله أحد من أهل زمانه في العلم الرياضي ولا يقرب منه^(٣٢). ويقول المستشرق دى بور: نجد في القاهرة في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس من الهجرة) رجالاً من أعظم الرياضيين والطبيين في العصور الوسطى هو أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم^(٣٣). وسرد القفطي أسماء سبعة وستين كتاباً من تأليف ابن الهيثم، أما ابن أبي أصيبعة فذكر له ما يقرب من مائتي كتاب، خلا رسائل كثيرة، فقد ألف ابن الهيثم في الهندسة والطبيعات والفلك والحساب والجبر وفي الطب والمنطق والأخلاق، فلا غرو إذا رأينا الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية تحتفل بذكرى مرور تسعمائة سنة على وفاة ابن الهيثم، وقد أظهر أعضاء هذه الجمعية الثروة العلمية التي خلفها ابن الهيثم، ونوهوا بمكانته في هذه الفنون التي نبغ فيها وعرض لها في مصنفاته، فالأستاذ مصطفى نظيف بك قال: (إن ابن الهيثم قلب الأوضاع القديمة، وأنشأ علماً جديداً، هو قد أبطل علم المناظر الذي وضعه اليونان، وأنشأ علم الضوء الحديث بالمعنى وبالحدود وبالأصول التي نراها الآن، وإن عد نيوتن بحق رائد علم الميكانيكا في القرن السابع عشر، فابن الهيثم خليفه بأن يعد بحق رائد علم الضوء في مستهل القرن الحادي عشر للميلاد)^(٣٤).

وقال الأستاذ محمد رضا مدور بك: (إذا أردنا أن نقارن ابن الهيثم بعلماء عصرنا الحاضر فلا أكون مغالياً إذا اعتبرت ابن الهيثم في مرتبة تضاهي مرتبة العلامة أنيشتين في عصرنا هذا)^(٣٥).

ويقول الأستاذ الدكتور مشرفة باشا: (المطلع على كتاب ابن الهيثم في حل شكوك إقليدسيلمس فيه دقة المؤلف في التفكير وتعمقه في البحث واستقلاله في الحكم، كما يتضح له صحة إدراك ابن الهيثم لمكان الهندسة الإقليدية من العلوم الرياضية على أنها دراسة منظمة للعلاقات والمقادير المكانية من ناحية كونها علاقات أو مقادير، وبغير نظر إلى ما يمكن أن ندل عليه من موجودات، فابن الهيثم في هذا الكتاب رياضي بحث بأدق ما يدل عليه هذا الوصف من معنى وأبلغ ما يصل إليه من حدود^(٣٦)). فهذا كله قول مختصين يستطيعون الحكم على مكانة ابن الهيثم في العلوم الرياضية والطبيعية، ولكن ابن الهيثم كان في مصر الفاطمية فوجدت تعاليمه وآراءه ما وجدت مصر الفاطمية كلها بسبب تعصب من أتى بعد الفاطميين، وقد لاحظ الأستاذ ديبور إهمال العلماء له فقال: إنه لم يكن لدعوة ابن الهيثم ثمرة كبيرة في الشرق، ولا يعرف من تلاميذه غير واحد يعد من الفلاسفة هو أبو الوفاء ميثربن فانك القائد^(٣٧) ولكني لا أرى خلاف ما راه ديبور فقد كان لابن الهيثم تلاميذ كثيرون، وأنهم حافظوا على تعاليمه ودعوته، ولكن كما

قلت كان التعصب الديني عند الأيوبيين والعباسيين قوياً حتى إنهم لم يفرقوا بين عقيدة الفاطميين أعدائهم وبين العلوم الرياضية، فكل من اتصل بالفاطميين فهو من زمريهم وكل عالم من علماء مصر الفاطمية متهم بالخروج عن الدين ويجب أن تحرق كتبه ولا تتبع تعاليمه، وهذا ما حدث لابن الهيثم وغير ابن الهيثم من العلماء.

أما مبشر بن فانك الذي ذكر أنه تلميذ ابن الهيثم فهو الأمير محمود الدولة أبو الوفاء المبشر بن فانك وكان من أعيان أمراء مصر وأفاضل علمائها، دائم الاشتغال محباً للفضائل والاجتماع أهلها ومباحثاتهم والانتفاع بما يقتبسه من جهتهم، وكان ممن اجتمع به منهم، وأخذ عنه كثيراً من علوم الهيئة والعلوم الرياضية أبو علي محمد بن الهيثم^(٣٨)، ويقول أمية بن أبي الصلت إنه أدرك أبا الوفاء وأخذ عنه شيئاً من المنطق وتخصص به وتميز عن أضرابه، وأن أبا الوفاء أدرك أبا كثير بن الزرقان تلميذ أبي الحسن علي بن رضوان وقرأ عليه بعض كتب جالينوس، ثم نصب نفسه لتدريس جميع كتب المنطق وجميع كتب الفلسفة الطبيعية والإلهية وشرح بزعمه وفسر ولخص^(٣٩)، وكان أبو الوفاء أحد أدباء مصر العارفين بالأخبار والتواريخ، وكان في أيام الظاهر والمستنصر وله كتاب سيرة المستنصر في ثلاثة مجلدات، وله تواليف في علوم الأوائل كما كان حريصاً على اقتناء الكتب فجمع منها ما لا يحصى عدده كثرة^(٤٠). ويقول: الفقطي إنه قرأ على المبشر فضلاء زمانه فسادوا^(٤١)، ويذكر من تلاميذه الطبيب سلامة بن رحمون اليهودي الذي ناظر أمية بن أبي الصلت^(٤٢).

ومن الرياضيين الذين كانوا في هذا العصر رزق الله المنجم النحاس الذي وصفه أمية بقوله: (وله في فروع النجامة بعض دربة وبتجرباتها بعض خبرة، وهو شيخ أكثر المنجمين بمصر وكبيرهم الذي علمهم السحر، فجميعهم إليه منسوب وفي جريدته مكتوب وبفضله معترف)^(٤٣). وأبو علي المهندس المصري الذي كان قيماً بعلم الهندسة، وكان يعيش في أوائل القرن السادس الهجري، وكان مع ذلك أديباً شاعراً، ويظهر من شعره أنه متأثر بدراسته الهندسية فهو يقول مثلاً:

تقسم قلبي في محبة معشر بكل فتى منهم هوأي منوط
كأن فؤادي مركز وهم له محيط وأهواني لديه خطوط^(٤٤)
وقوله أيضاً:

إقليدس العلم الذي يحوى به ما في السماء معاً وفي الأفاق
تزكو فوائده على إنصافه يا حبذا زاك على الإنفاق
هو سلم وكأنما أشكاله درج إلى العلياء للطراق
ترقى به النفس الشريفة مرتقى أكرم بذاك المرتقى والراقي^(٤٥)

وظهر في مصر في هذا العصر عدد كبير من الأطباء، والطب كما نعلم كان في ذلك العصر من علوم الفلسفة، وكثرت في مصر الفاطمية مناظرات الأطباء ومجادلاتهم، فكان ذلك من أسباب ازدهار هذا النوع من العلم واتساع أفقه وكثرة المؤلفات حوله، وقرب الفاطميون الأطباء

وأغدقوا عليهم من نعمهم وعطاياهم خلاف ما أوقفوه لهم من مرتبات شهرية، فمن ذلك ما يروى أن منصور ابن مقشر النصراني طبيب العزيز بالله اعتل سنة ٣٨٥هـ وتأخر عن الركوب مع الإمام، فلما تماثل من علته كتب إليه العزيز رقعة بخطه نسختها:

(بسم الله الرحمن الرحيم

طبيبنا سلمه الله.

سلم الله الطبيب وأتم النعمة عليه، وصلت إلينا البشارة بما وهبنا الله من عافية الطبيب وبرئته، والله العظيم لقد عدل عندنا ما رزقنا نحن من الصحة في جسمنا، فتمم الله عليك النعمة، وكمل لنا صحتك وعجل بها، ولا أشمت بنا فيك عدواً ولا حاسداً، ورد كيد من يريد الكيد في نحره، وابتلاه بما لا طاقة له، بعد الكفاية فيك، وإقالتك العثرة، ورجوعك إلى أفضل ما عودك، وصلى الله على خيرته من خلقه محمد النبي وآله وسلم تسليماً^(٤٦).

ضياع الشعر الفاطمي وجناية الأيوبيين على الأدب:

كانت الحياة في مصر الفاطمية كما رأينا جانباً منها- تدعو إلى ازدهار الشعر وإلى كثرة ما أنتجه الشعراء في كل فن من فنون الشعر وكل موضوع من موضوعاته، ولكن هذه الموجة الفنية التي طغت على مصر سرعان ما أبادها الأيوبيون فيما أبادوه من تراث هذا العصر الذهبي في تاريخ مصر الإسلامية، فضاء الشعر ولم يبق منه إلا النزر اليسير، أو قل لم يبق إلا اسم الشاعر أحياناً إن قدر لإسمه البقاء، ونحن لا نتردد في إتهام الأيوبيين بجنائيتهم على تاريخ الأدب المصري بتعمدهم أن يمحو كل أثر أدبي يمت للفاطميين بصلة، فقد حرقوا كتبهم بما فيها من دواوين الشعر خوفاً من أن يكون بالشعر مديح للأئمة، وهو كفر بزعمهم. وما هو ذا كاتب الأيوبيين العماد الأصفهاني عندما أراد أن يجمع في خريدته شعر شعراء المائة الخامسة قال عن ابن الضيف داعي الأمر وشاعره: وكنت عازماً لفرض غلوه على حظه، لأنه أساء شرعاً وإن أحسن شعراً، بل أظهر فيه كفراً، ولكنني لم أر أن أترك كتابي منه صفراً لأن البحر الزاخر يركبه المؤمن والكافر، ويقصده البر والفاجر، ويحمل الغناء كما يحمل الدر^(٤٧)، وقال عن ظافر الحداد: أقول ظافر بحظ من الفضل ظاهر، يدل نظمه على أن أدبه وافر، وشعره بوجه الرقة والسلاسة سافر، وما أكمله لولا أنه من مداح المصري والله له غافر^(٤٨). ومع ذلك لم يرو العماد لهما شيئاً في مدح الأئمة، فقد تعمد العماد الأصفهاني أن يستبعد أكثر شعر مديح الأئمة من خريدته، وتبعه في ذلك غيره من الأدباء والمؤرخين، فضاء أكثر شعر مصر الفاطمية بسبب هذا التعصب المذهبي.

أضف إلى ذلك أن الأحداث التي كانت في مصر، ولا سيما في عهد المستنصر بالله، إبان المحنة الكبرى، وفي الصراع الذي كان بين شاور وضرغام في أواخر العصر الفاطمي، كانت من أهم أسباب ضياع شعر الشعراء وكتب العلماء، حتى إن الشاعر عمارة اليمنى عندما أراد أن يذكر لنا شيئاً من شعره في مدح طي بن شاور قال: فإن جميع ما قلته فيه نهب من دار الخليج^(٤٩) ولم

يتذكر منه شيئاً يرويه، فكانت هذه الأحداث والإضطرابات مأساة للعصر الفاطمي نفسه إذ سببت زوال دولة الفاطميين، ومأساة للحياة الأدبية والفكرية أيضاً، وإلا فحدثني عن شعر الشعراء المائة الذين رثوا ابن كلس. وأين ديوان ابن حيدرة العقيلي^(٥٠) وأين ديوان أبي الحسن علي بن المؤمل بن غسان الكاتب المصري وكان ديوانه في مجلدين^(٥١)، وأين ديوان أبي الحسن بن مطير^(٥٢)، وديوان ابن الشخباء أستاذ القاضي الفاضل^(٥٣) وديوان الملك الصالح بن رزيك^(٥٤)، وديوان القاضي الرشيد ابن الزبير^(٥٥) وديوان أخيه المهذب بن الزبير^(٥٦)، وديوان ابن الضيف، وديوان ظافر الحداد الذي وصفه أحد معاصريه وهو الفقيه نصر بن عبد الرحمن الفزاري بقوله: وله ديوان شعر مشهور و بالجودة له مشهود^(٥٧) وأين ديوان الفقيه الصوفي ابن الكيزاني، وأين شعر بني عرام شعراء الصعيد، وأين مقطوعات ابن الصياد في أنف ابن الحباب، فقد قيل إن الحباب كان كبير الأنف وكان ابن الصياد مولعاً بأنفه وهجاه بأكثر من ألف مقطوعة^(٥٨)، وأين شعر أولاد الكنز بأسوان^(٥٩)، وأين المجموعة التي جمعها عثمان بن عبد الرحيم المعروف بابن بشرون التي صنفها سنة ٥٦١ وسماها «المختار في النظم والنثر لأفاضل أهل العصر» وأين مجموع شعراء ابن رزيك^(٦٠). وأين كتاب جنان الجنان للمهذب ابن الزبير الذي صنفه سنة ٥٥٨ هـ وجمع فيه أشعار شعراء مصر وذيل به اليتيمة، وأين ديوان القاضي الفضل كافي الكفاة أبي الفتح محمود بن القاضي الموفق إسماعيل بن أحمد الدمياطي المعروف بابن قادوس وكان من أمثال المصريين وكتابهم مقدماً عند ملوكهم^(٦١)؟

ويطول بنا الأمر لو طالبنا بكل شعر الشعراء الذين كانت تخر بهم مصر الفاطمية، إنما ذكرنا هذه الأسماء على سبيل المثال لا الحصر، لنعرف مدى هذه الخسارة التي لحقت بتاريخ الأدب المصري لضياح هذه الثروة الأدبية المصرية و لندل على أن مصر الفاطمية كانت غنية بشعرائها، خصبة في شعرها.

هناك جناية أخرى ارتكبتها الثعالبي والباخرزي والعماد وابن سعيد المغربي وغيرهم من المؤلفين الذين أرادوا أن يحفظوا في كتبهم شيئاً من الشعر، فعمدوا إلى عدة أبيات من قصيدة، ولم يدونوا كل القصيدة، فقد اكتفوا بمقطوعة من بيتين أو أكثر لكل شاعر، وقل أن نجد قصيدة كاملة في هذه الكتب، مما جعلنا لا نستطيع أن نكون حكماً صحيحاً على فن الشاعر من هذه المقطوعات التي رويت له، لأن الناقد المدقق مهما بلغت قدرته الفنية، واتسعت ثقافته الأدبية وارتقى ذوقه الأدبي لا يستطيع أن يحكم على شاعر بمقطوعة من قصيدة، أو بقصيدة واحدة من ديوان، وإلا كنا كالأقدماء الذين كانوا يفضلون شاعراً على شاعر ببيت شعر قاله. فهؤلاء الكتاب الرواة كانوا من عوامل ضياح الشعر القديم، كما هم في الوقت نفسه من عوامل حفظ بعضه.

ومهما يكن من شيء فإن بين أيدينا الآن بعض آثار لحياة الشعر في العصر الفاطمي، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على أن العصر الفاطمي كان خصباً في إنتاج الشعر بحيث استطاع شعراء مصر الفاطمية أن يقف بجوار غيره من الشعر في الأقطار الإسلامية في أرقى عصوره

وصوره، فالعوامل التي تحدثت عنها، والآثار التي وصلتنا، وما قاله الرواة عن شعر مصر، كل ذلك يجعلنا نقول إن شعر مصر الفاطمية كان يحتل هذه المكانة الممتازة في الحياة الأدبية ويتطور هذا التطور الذي نلمسه في العصر الفاطمي.

الشعر والأئمة

ذكرنا أن الفاطميين جاءوا بمصر يحملون مذهباً دينياً خاصاً يختلف عن العقائد التي كان يدين بها المصريون، وأن للمذهب الفاطمي مصطلحات خاصة لا يعرفها غير المنتسبين لفرقتهم، ولا يفهمها غيرهم، فكان لهذه العقائد الفاطمية تأثير قوي في شعر الفاطمية، ذلك أن الشعراء الذين اتصلوا بالأئمة كانوا يمدحون هؤلاء الأئمة بالصفات التي صبغها المذهب على الأئمة، ويتعمد الشاعر أن يستعمل في شعره المصطلحات التي اصطلح عليها علماء المذهب ودعائه، وكلما أمعن الشاعر في استخدام هذه المصطلحات، وادخل هذه الصفات في شعره، ازدادت قيمة الشاعر عند الأئمة وكبار رجال الدعوة، وكثر عطاؤه وزاد جاريه، فكان الشعراء على هذا النحو دعاة للأئمة والعقائد دون أن يكون لهم في مراتب الدعوة شأن. وفي الوقت نفسه كان الشعراء سبب اتهام المذهب الفاطمي بالغلو والميل إلى الخروج عن تعاليم الإسلام، ذلك أن الشعر أسرع في الانتقال على أفواه الناس من كتب العلماء، فإذا كانت كتب الدعاة لا يقربها إلا أتباع مذهبهم، وأن مجالس حكمهم لا يحضرها إلا من استجاب لهم، فالشعر يختلف عن ذلك كله، فإنه يسير بين الناس ويرويه الرواة، فإذا سمع مستمع إلى تلك الأبيات التي زحرت بعقائد الفاطميين دون أن يكون له إلمام بعقائد المذهب وما فيها من تأويلات باطنية فهو لا يستطيع أن يدرك معنى ما جاء في هذا الشعر، وما قصد إليه الشاعر في مدائحه، ومن هنا يتهم الشاعر ويتهم المذهب نفسه، وقد رأينا كيف وصف العماد الأصفهاني شعر بعض شعراء الدولة الفاطمية، ونقرأ الآن أقوال النقاد والمؤرخين عن ابن هانئ الأندلسي، وما وصف به من شدة الغلو في مدح الأئمة حتى رماه بعضهم بالخروج عن الدين جملة، فلو كان هؤلاء النقاد يعرفون التأويل الباطني لأقوال ابن هانئ، أو أنهم حاولوا معرفة ما أراده الشاعر وقصد إليه، لرأيانهم يرجعون عن كثير مما اتهم به الشاعر، وذكرنا أن هذا من الأسباب التي أدت إلى ضياع شعر مصر الفاطمية، ولا سيما هذا اللون من الشعر الذي ملئ بالعقائد والذي قيل في مدح الأئمة. ولكن من حسن الحظ أننا عثرنا على ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، وديوان الأمير تميم بن المعز وقصيدة في مدح العزيز، وكانت هذه النصوص في مكتبات رجال البهرة بالهند.

ففي مجموعة أشعار الأسماعيلية قصيدة تكاد تكون فريدة في نوعها في الشعر العربي كله، وهي لشاعر مجهول في مدح العزيز بالله، وتنسب هذه القصيدة أحياناً إلى المؤيد في الدين^(٣٢). تنسب مرة أخرى إلى شاعر يلقب بالأسكندراني^(٣٣)، ولكنني أرفض نسبة هذه القصيدة إلى المؤيد لأن العزيز بالله أقدم عهداً من المؤيد في الدين، وأن المؤيد لم يمدح العزيز مطلقاً إنما مدح

الظاهر والمستنصر وهما الإمامان اللذان عاصرهما المؤيد، ولم يمدح غيرهما من الأئمة، أضاف إلى ذلك كله أن هذه القصيدة تختلف عن شعر المؤيد من ناحية فن الشعر عند المؤيد.

أما الأسكندراني الذي تنسب إليه هذه القصيدة فلا نعرف عنه شيئاً، ولم تذكره المصادر التي بين أيدينا، وكل ما ورد عنه في المجموعة الخطبة هو: هذه قصيدة الأسكندراني رحمه الله في مدح الإمام العزيز بالله قدس الله روحه، وهي الموسومة بذات الدوحة^(١١).

قلت: إن هذه القصيدة فريدة في بابها في الشعر العربي، ذلك أن الشاعر روى الحديث المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أهل بيتي شجرة أصلها ثابت، وفرعها في السماء» وقول النبي أيضاً «أنا شجرة وفاطمة حملها وعلى لقاحها والحسن والحسين ثمرتها ومحبونا أهل البيت ورقها حقاً حقاً أن يكونوا معنا في الجنة»^(١٢) وأمثال هذين الحديثين. فشاء له خياله أن يمدح إمامه العزيز بالله بقصيدة جعل لها جذعاً وفروعاً على مثال الشجرة، وسمى قصيدته ذات الدوحة، وأودعها كثيراً من المصطلحات والعقائد الفاطمية، والقصيدة هي:

فلست بغير الحق والصدق أنطق
وفى الجيد عهد للأمام موثق
بهم يحرم الله الأنام ويرزق
وأنوار هذا الخلق من قبل يخلق
وعصيانهم كفر إلى النار موبق
هم الغاية القصوى التي ليس تلحق
ولم يك في الدنيا ضياء ورونق
وباليمين والتقوى تظل وتسبق
وتحيي من الموت الجهول وتطلق
بمكنون علم الله فالدين مونق
وفوق الثريا فرعها متعلق
ففي كل عصر نورها يتألق
بغير أبي المنصور لو كان يلثق
تكاد لها صم الجنادل تورق
ويحر سماح بالندی يتدفق
لقد قام بالدين العزيز الموفق
فلا العيش مذموم ولا الدهر أخرق
ولا العرف مقطوع ولا النكر مطلق
ونشر الثناء الطيب للطيب يعبق
فكل على مقداره يتشوق

سئمت من البين الذي ليس يصدق
أمدح رهطاً غير رهط محمد
ولا فضل لي في ذابل الفضل فضل من
أئمة دين الله مذ قام دينه
محبتهم فرض على الناس واجب
هم العروة الوثقى، هم منهج الهدى
ولولا هم لم يخلق الله خلقه
هم دوحة الدين التي تثمر الهدى
تجير من الأيام من يستظللها
سقاها غمام الوحي علماً فأينعت
جرت في تخوم المحكمات عروقها
هم الأصل منها والأئمة فرعها
إلى أن تسامت بالعزيز ولم تكن
فباهت على الأيام أيامه التي
سحائب جود لا يغيب غمامها
لئن فقد الناس المعزل لدينه
تجددت الدنيا علينا بيمينه
ولا الجود ممنوع ولا المجد خامل
تضوع نشر العدل في كل بلدة
ملأت قلوب العارفين محبة

فلا صامت إلا بحبك ناطق
فضائل مولانا العزيز جليلة
غرسيت على بيت من الشعر دوحه
فألفت من بيت بيوتاً كثيرة
فسبع وسبع عن يمين ويسرة
بمدح أمير المؤمنين لأنها
عليه صلاة الله ما لاح كوكب
ولا مضمر إلا بشكرك ينطق
إذا عد فضل فهو بالفضل يسبق
لها أغضن في وزنه حين تبسق
ولكنها مع ذاك لا تتفرق
على كل حرف منه بيت مفلق
لعمرى به من سائر الخلق أليق
وما نأح في الأيك الحمام المطوق

فالشاعر هنا قد ألزم نفسه بأن يبني بيتين من الشعر على كل كلمة من كلمات البيت الأخير، وأن يزرع عن يمين هذا البيت الأخير أربعة عشر بيتاً سبعة أبيات عن يمين، وسبعة عن شمال حتى تتخذ القصيدة شكل الدوحة، وما رأينا أحداً من شعراء العربية يتلاعب قبل هذا التلاعب قبل هذا الشاعر الفاطمي، ومن يدري لعل التشجير الذي ظهر في الشعر الفارسي في القرن السادس الهجري وما بعده هو تطور هذا التلاعب الذي نراه في هذه القصيدة، فقد أراد الشاعر أن يهدي إلى إمامه مثلاً من الشعر للشجرة التي ذكر في القرآن أن أصلها ثابت وفرعها في السماء، وشاء الشاعر إلا أن يهدي لإمامه هذه الدوحة وجعل أبيات الفروع والأغصان سبعة عن يمين وسبعة عن شمال تمثيلاً لرأي الفاطميين في الأدوار السبعة إذا انتهى دور سبعة من أئمة الدين تلاه دور آخر لسبعة آخرين، وقد يكون ذلك أيضاً لأن المعز كان سابع الأسبوع الثاني من دعوة النبي محمد، وأن العزيز هو أول الأئمة في دور الأسبوع الثالث، وهكذا كان الشاعر في تلاعبه في شكل القصيدة باطنياً، وهو باطني أيضاً في المعاني التي قصد إليها، ففي مدحه لإمامه أملت عليه عقيدته الفاطمية هذه المعاني، ففي البيت الثاني يتحدث الشاعر عن العهد أو الميثاق الذي يأخذه الإمام على شيعته والمستجيبين لدعوته. وفي البيت الثالث يشير إلى أن الأئمة مثل للعقل الأول، وبما أن الله سبحانه وتعالى قال للعقل (وهو القلم أيضاً) «بك أتيب وبك أعاقب»^(١٦) فهذه الصفات تنطبق أيضاً على مثل العقل وهم الأئمة^(١٧) فيثيب الله من أطاع الأئمة ويعاقب من خالفهم. وفي البيت الرابع يتحدث الشاعر عن تنقل نور الله منذ بدأ خلقه إلى أن حل هذا النور في إمام العصر، وفي البيت الخامس ذكر طاعة الأئمة وأن طاعتهم فرض فرضه الله تعالى في القرآن الكريم بقوله تعالى «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» وفي البيت الثامن وما بعده يتحدث الشاعر عن العلم الباطن الذي خص به الأئمة دون غيرهم، وأن هذا العلم هو الذي يحيي موتى النفوس ويجلو غياهب الشك، ثم يتحدث الشاعر بعد ذلك عن عقيدة الفاطميين التي شاركهم فيها غيرهم من المسلمين وهي العقيدة التي تقول: إن الله لم يخلق هذا الخلق سدى، بل لعبادته وتوحيده. ولكن الفاطميين خالفوا المسلمين في الوسيلة التي تؤدي بهم إلى العبادة والتوحيد ذلك أن العبادة عندهم لا تقبل إلا بموالات الأئمة من أهل البيت، فكان العالم لم يخلق إلا من أجل الأئمة الذين بهم يصل الإنسان إلى عبادة الله وتوحيد

الله. فالشاعر في هذه القصيدة شاعر عقائد قبل كل شيء، عرف عقائده فإتخذ هذه العقائد وسيلة لمدح الإمام، فالشاعر متأثر بهذه العقائد فظهرت في شعره.

وهاهو ذا الأمير تميم بن المعز لدين الله، الذي نعرف عنه أنه ابن إمام من الأئمة، وأخ لإمام من أئمتهم، كان شاعراً من أكبر شعراء عصره، مدح أباه وأخاه الإمام بعدة قصائد حفظت في ديوانه، وقد استطعنا الحصول على نسخة خطية من هذا الديوان، فأرينا الشاعر يصف الإمام بالمصطلحات الفاطمية، ويلم في شعره بعقائد أسرته، فهو يقول مرة للعزیز بالله:

جئت الخلافة لما أن دعتك كما	وإلى لبيقاته موسى على قدر
كلأرض جاد عليها الغيث منهماً	فزانها بضروب الروض والزهر
ما أنت دون ملوك العالمين سوى	روح من القدس في جسم من البشر
نور لطيف تنأى منك جوهرة	تناهياً جاز حد الشمس والقمر
معنى من العلة الأولى التي سبقت	خلق الهيولى وبسط الأرض والمدر
فأنت بالله دون الخلق متصل	وأنت لله فيهم خير موتمر
وأنت آيته من نسل مرسله	وأنت خيرته الغراء من مضر
لو شئت لم ترض بالدنيا وساكنها	مثوى، وكنت ملك الأنجم الزهر
ولو تضافت الأبواب فيك درت	بأنها عنك في عجز وفي حصر ^(٣٨)

ولو هذه الأبيات نرى الشاعر يمدح إمامه بأنه ليس كغيره من الملوك، لأن نفس الإمام الشريفة اللطيفة هي روح قدسية حلت في جسم كثيف ترابي، وأن هذه النفس اللطيفة تناسب العقل - الذي سماه هنا بالعلة الأولى على حسب الاصطلاحات الفلسفية أيضاً - وبما أن العقل هو أول ما خلق الله فهو سابق لخلق الهيولى، ولما كان العقل الأول هو أقرب مبدعات الله إليه على هذه النسبة، وهو متصل بالله تعالى لأن ممثوله العقل الأول متصل بالله تعالى، وأن الإمام آية الله تعالى من نسل النبي محمد، لأن ممثوله العقل هو آية الله الكبرى، وهكذا يستمر الأمير تميم في استغلال هذه الآراء والعقائد الفاطمية في مدح شقيقه الإمام العزيز بالله بحيث لا نستطيع أن نصل إلى فهم أشعاره في هذا المديح دون التوصل إلى ذلك بتطبيق نظرية المثل والممثل : انظر إليه وهو يمدح الإمام :

فيابن الوصى ويابن البتول	ويابن نبي الهدى المصطفى
ويابن الشاعر والمروتين	ويابن الحطيم ويابن الصفا ^(٣٩)

فهو يصف الإمام بمعان باطنية، فمناسك الحج في التأويل الباطن هي محمد (ص) وبما أن الوصى والأئمة يقومون مقام النبي بعد موته فهم يوصفون بصفاته، ويكرر هذا المعنى في أكثر قصائده كقوله:

وابن الصفا والحجر وابن الهدى ويابن نبي الهدى وابن الكتاب^(٤٠)

فبجانب هذه الصفات التي وصف بها الإمام بأنه ابن الصفا وابن الحجر نراه يصف إمامه

بأنه ابن الكتاب، والكتاب هو القرآن، وفي التأويل الباطن أن القرآن والزيور والتوراة والأنجيل هي مثل، والممثل هو الوصى. يقول في ذلك صاحب المجالس المستنصرية: «فالقرآن العظيم هو هذا الكتاب الكريم، وقرينه في التأويل الحكيم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والتسليم لأنه في زمانه قرين القرآن، والقرآن قرينه، وإنما يسمى الكتاب قرأناً بالعترة، يبين ذلك قول رسول الله (ص) (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) فالقرآن قرين كل واحد من الأئمة الطاهرين^(٧١) ومرة أخرى يمدح الأمير تميم إمامه بصفات باطنية فيقول:

يا حجة الرحمن عند عباده وشهابه في كل أمر مشكل
من لم يكن في صومه متقرباً بك، فصومه لم يقبل^(٧٢)

فهو هنا يصف إمامه بأنه حجة الله في الأرض وهو من المعاني الباطنية وصفة من صفات الأئمة^(٧٣)، ويقول أيضاً: إن الإمام هو النور الذي يبين للناس ما غمض عليهم ويوضح ما أشكل، وفي البيت الثاني يشير إلى عقيدة الفاطميين التي تقول إن فرائض الدين الإسلامي لا تقبل إلا باتباع المنصوص عليه من أهل البيت.

الحواشي:

- ١- في أدب مصر الفاطمية (٦٦ ومابعدھا).
- ٢- المجالس والمسائرات (ورقة ١٤٦).
- ٣- ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ١٠٩ (طبعة مصر سنة ١٨٨٢).
- ٤- (London) ١٤٠ P. Hist. of the Fatimid Khalifate leary: (١٩٢٣)
- ٥- أخبار الحكماء للقفطي ص ١٠٥.
- ٦- راجع ما ذكرناه في كتاب راحة العقل في المقارنة بين رأى الكرمانى ورأى الفارابى.
- ٧- راجع كتاب راحة العقل (من مطبوعات الجمعية الإسماعيلية بالهند).
- ٨- النكت العصرية ص ٤٨.
- ٩- أخبار مصر لابن ميسر حوادث سنة ٥٤٣ هـ والمقرئى ج ١ ص ٩٧.
- ١٠- كتاب الفترات والقراءات ورقة ٢ نسخة خطية بمكتبتى الخاصة.
- ١١- المجالس المؤيدية والفترات والقراءات ص ٥٧ والسيرة المؤيدية في القصيدة المسطرة.
- ١٢- المجالس والمسائرات ورقة ٩٢ ب.
- ١٣- كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمى (نسخة خطية بمكتبتى).
- ١٤- كتاب الهمة في آداب أتابع الأئمة (طبع دار الفكر العربى) ص ٥٤.
- ١٥- ديوان الأمير تميم بن المعز ورقة ٩٣ ب نسخة خطية بمكتبتى الخاصة.
- ١٦- أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن محمد العتقى المنجم كان متفناً في عدة علوم والغالب عليه علم النجوم، ولما وفد بمصر قربه الفاطميون ولم يزل مقرباً إلى أيام العزيز بالله ولكن حدث أن صنف كتاباً في التاريخ ذكر فيه بني أمية وبني العباس وأشاد ببعض محاسنهم وجميل أفعالهم، وأطلع عليه الوزير يعقوب بن كلس فأنهاه إلى العزيز فوبخ العتقى على ذلك وجمع الوزير العلماء إلى داره وذم العتقى أمامهم، فاضطر العتقى إلى أن يلزم داره كما صودرت أملاكه وتوفي سنة ٣٨٥ هـ وله عدة تصانيف منها كتب في النجوم وأحكامها وكتاب التاريخ في الجامع صنفه إلى بعض أيام العزيز، وكتاب في النحو سماه السبب لعلم العرب، راجع أخبار الحكماء للقفطي ص ١٨٧.

- ١٧- القفطي ص ٣٦٧.
- ١٨- ابن خلكان ج ١ ص ٣٧٥.
- ٢١- المقرئ ج ٢ ص ٢٤٩.
- ٢٣- مادة تنجيم في دائرة المعارف الإسلامية.
- ٢٤- تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ص ٥١ مخطوط بدار الكتب المصرية.
- ٢٥- البيهقي: تاريخ حكماء الإسلام ص ٥١ وما بعدها نسخة خطية بدار الكتب المصرية.
- ٢٦- القفطي ص ١١٤.
- ٢٨- القفطي ص ١١٥ وابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٩٠.
- ٢٩- القفطي ص ١١٥ وابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٩٠.
- ٣١- تاريخ حكماء الإسلام ص ٥١.
- ٣٣- تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ١٩٠ ترجمة الدكتور أبو ريدة.
- ٣٤- الاجتماع التخليدي لذكرى ابن الهيثم ج ٢٧.
- ٣٥- المصدر السابق ص ٣١.
- ٣٦- المصدر السابق ص ٤.
- ٣٧- تاريخ الفلسفة ص ١٩٤.
- ٣٨- ابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ٩٨.
- ٣٩- الرسالة المصرية ص ٧٧ نسخة خطية بدار الكتب المصرية.
- ٤٠- معجم الأدباء ج ١٧ ص ٧٧ (طبعة رفاعي).
- ٤٢- القفطي ص ١٤٢ وابن أبي أصيبعة ج ٢ ص ١٠٦.
- ٤٣- القفطي ص ١٢٧.
- ٤٤- القفطي ص ٢٦٧.
- ٤٦- المصدر السابق ص ٢١٩.
- ٤٧- الخريدة ورقة ٥٣ ب.
- ٤٨- الخريدة ورقة ٥٠.
- ٤٩- النكت ص ١٢٧.
- ٥٠- المغرب ص ٥٢.
- ٥١- الخريدة ورقة ١٩.
- ٥٢- الخريدة ورقة ١٤ أ.
- ٥٣- الخريدة ورقة ١٤ أ.
- ٥٤- الخريدة ورقة ٣٢ ب.
- ٥٥- الخريدة ورقة ٣٦ أ.
- ٥٦- الخريدة ورقة ٣٦ أ.
- ٥٧- الخريدة ورقة ٥٩ ب.
- ٥٨- الخريدة ورقة ٦٨ أ.
- ٥٩- الخطوط ج ١ ص ٣٢٠.
- ٦٠- الخريدة (٦٨ ب).
- ٦١- ابن ميسر ص ٩٧.
- ٦٢- Guide To Ismaili Literature A. p. ٤٩.
- ٦٣- نسخة ديوان المؤيد الخطبة المرموز إليها (ق) راجع ديوان المؤيد
- ٦٤- ورقة ٦٦ ب
- ٦٥- يروي الشيعة هذه الأحاديث، ونجدها في المجلس الخامس والستين من المائة من المجالس المؤيدية وفي كتاب بحار الأنوار وغيرهما.
- ٦٦- ذكرنا أنه ورد في صحيح البخاري قول النبي (ص) «أول ما خلق الله القلم فقال له أقبل فأقبل ثم قال له ادبر فأدبر، فقال بعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أعز على منك، بك أثيب وبك أعاقب...»
- ٦٧- راجع نظرية المثل والمثول.
- ٦٨- ديوان الأمير تميم ورقة ١٥٨ (نسخة خطية بمكتبتي).
- ٦٩- ديوان الأمير تميم ورقة ١٥
- ٧٠- ديوان تميم ورقة ١٨ ب
- ٧١- كتاب المجالس المستنصرية ص ٢٩
- ٧٢- ديوان تميم ورقة ١٣١ ب
- ٧٣- راجع ما كتبناه عن ذلك في كتاب ديوان المؤيد داعي الدعاة.